مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، ص1-26، يونيو 2009
ISSN 2070-3147

دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم – دراسة تحليلية

د. محمد رمضان البع*

الملخص

يتناول البحث جزء عمّ، وهو الجزء الأخير في القرآن الكريم، ومعظم سوره مكية وتعدل ثلث سور القرآن الكريم، وتمتاز بخصائصها اللفظية والأسلوبية والصوتية المتمثلة في قصرها وسرعة إيقاعها وتنوع أصوات فواصلها وعلاقة ذلك بمعنى الآية، والسورة والموضوعات العامة التى تنظم سور هذا الجزء وآياته، وذلك من خلال عمل جداول إحصائية لأصوات فواصل الآيات وتصنيفها حسب مخارجها وصفاتها ثم بيان علاقتها بدلالة الآية ومعاني جزء عمّ بجميع سوره.

ABSTRACT

Significance of verse-finally sounds of Amma Part: an analytical study.

This study analytically explores the verse-finally sounds of Amma Part, the last Part of the Qur'an, which includes nearly one third of the total number of the Chapters (Suras) of the Qur'an. The verses of this Part are short and fast, and their final sounds have a strong relationship with the meaning of the verse, the Chapter, and the general topics of the Part. This analytical study gives statistics of the sounds in this Part, classifying these sounds in terms of place and manner of articulation and showing how these sounds are related to the meanings of the verses and Chapters.

---

* كلية الآداب– الجامعة الإسلامية – غزة - فلسطين.

المقدمة:

إن القرآن الكريم هو كلام ا المنزل على محمد (ﷺ)، المتعبد بتلاوته، والمؤنس بقراءته، وهو المعجزة الخالدة التي تحدى بها العرب -وهم أرباب الفصاحة والبيان، فأنزله بلسان عربي مبين، فعجزوا أن يأتوا بمثله أو بآية منه، ولا يزال التحدي به قائماً إلى يوم الدين.

ولعل مظاهر الإعجاز التي تتجلى في سوره وآياته وكلماته، تتجلى أيضاً في أصواته عامة، وفواصل آياته خاصة، وكيفية أدائه وقراءته. لأن الإنسان حيثما قلّب نظره في صفحات القرآن الكريم وجد أسراراً من الإعجاز تتحقق في نظامه الصوتي البديع، وجرس حروفه حين يسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها، وفواصلها ومقاطعها؛ فلا تملّ القلوب من حبها، والألسنة من ترديدها، والأذن من سماعها؛ ولذلك جاء عنوان بحثنا "**دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم -دراسة تحليلية**". ومما لاشك فيه أن جزء عم -وهو الجزء الأخير من أجزاء القرآن الكريم- قد تميز بعدد سوره التي تعدل ثلث سور القرآن تقريباً، وآياته القصيرة بألفاظها السريعة في أدائها، والعظيمة في وقعها، وأثر أصوات فواصلها، وعلاقة ذلك كله بمعنى الآية والسورة، والموضوعات العامة التي تشمل جزء عم، والذي وصل عدد السور فيه إلى سبع وثلاثين سورة كلها سور مكية إلا ثلاث سور مدنية، وهي: سورة النصر، وسورة الزلزلة، وسورة البينة وقيل إنها مكية.

كما نحاول عمل جداول إحصائية لأصوات الفواصل في الآيات القرآنية الواردة فيه، وتصنيفها حسب مخارجها وصفاتها، ومعرفة مدى ارتباطها بمعاني الآيات، وما تدل عليه من قوارع زاجرة، أخرجتهم من ظلمات الجهالة إلى نور العدالة، ودعتهم إلى توحيد الألوهية والربوبية من خلال أساليب الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، وما تعرضه فيها من مشاهد هائلة عن يوم القيامة، وما فيها من جنة ونار وعذاب أليم ونعيم مقيم، وكيف استطاعت أصوات تلك الفواصل القرآنية التعبير بمخارجها وصفاتها وما فيها من الحروف الشديدة القوية أو الأصوات الرقيقة الندية عن تلك المعاني التي تدل عليها الآيات والسور المكية في هذا الجزء من أجزاء القرآن الكريم.

معلوم أن سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، موزعة في ثلاثين جزءاً قرآنياً، حظي جزء (عم) وحده بثلث عددها.

المنهج المكي والمدني:

وقد اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين هما:

1. المنهج السماعي النقلي:

وهو الذي يستند إلى الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي وشاهدوا نزوله، والتابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه.(السيوطي، 1974م : 9).

2. المنهج القياسي الاجتهادي:

وهو الذي يستند إلى خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي، أو تتضمن شيئاً من حوادثه قالوا: إنها مكية، وإذا وجد في السورة خصائص المكي قالوا: إنها مكية، وإذا وجد فيها خصائص المدني قالوا: إنها مدنية. وهذا قياس اجتهادي (السيوطي، 1974م : 17).

ضوابط الأسلوب المكي ومميزاته الموضوعية

1. كل سورة فيها سجدة فهي مكية.
2. كل سورة فيها لفظ: "كل" فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن، وذكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.
3. كل سورة فيها "يا أيها الناس"، وليس فيها "يا أيها الذين آمنوا" فهي مكية إلا سورة الحج، ففي أواخرها "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا"، ومع هذا فإن كثيراً من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.
4. كل سورة فيها قصص الأنبياء، والأمم الغابرة فهي مكية سوى سورة البقرة.
5. كل سورة تفتتح بحروف التهجي: "ألم"، و"ألر"، و"حم"، ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين؛ وهما البقرة، وآل عمران، واختلفوا في سورة الرعد حيث يرى بعضهم أنها مدنية لا مكية.
6. كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.(القطان، 1421هـ : 64).

خصائص الأسلوب المكي ومميزاته:

وأما من حيث المميزات الموضوعية، وخصائص الأسلوب المتعلقة ببحثنا فيمكن إجمالها على شكل أمارات يرجح امتياز السور المكية بها مثل:

1. قصر الآيات والسور، وإيجازها مع قوة الألفاظ وحرارة التعبير، ووضوح التجانس الصوتي في الفواصل القرآنية.
2. تأكيد المعنى بكثرة القسم جرياً على عادة العرب. (القطان، 1421هـ : 64).

ولتأكيد الفرق بين المكي والمدني نجد أن هناك ثلاثة آراء اصطلاحية للعلماء في ذلك، كل رأي منها بني على اعتبار خاص:

الأول: اعتبار زمن النزول

فالمكي: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان في غير مكة. والمدني: ما نزل بعد الهجرة، وإن كان في غير المدينة. فما نزل بعد الهجرة ولو في مكة عرف بالمدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ . (النساء : 58)، فإنها نزلت في مكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، أو ما نزل في حجة الوداع كقوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾. (المائدة : 3). وهذا الرأي أولى من الرأيين الآخرين لحصره واطراده.

الثاني: اعتبار مكان النزول

فالمكي: ما نزل في مكة وما جاورها كمنى، وعرفات، والحديبية، والمدني: ما نزل في المدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع ...، ويترتب على هذا الرأي أن ما نزل في الأسفار، أو في تبوك، أو في بيت المقدس لا يسمى مكياً ولا مدنياً، كما يترتب عليه أن ما نزل في مكة بعد الهجرة يكون مكياً.

الثالث: اعتبار المخاطب

فالمكي: ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما كان خطاباً لأهل المدينة. (القطان، 1421هـ : 61).

تعريف الفاصلة

ولما كان جزء (عم) هو الجزء الثلاثين والأخير من القرآن الكريم، ويشتمل على سبع وثلاثين سورة، وعدد آياته خمسمائة وأربع وستون آية؛ فإن عدد فواصله يعادل عدد آياته.

وتعد الفواصل في القرآن الكريم من أساليبه البلاغيـة الجميلـة، وتراكيبـه الرصـينة المبدعة، وهي رؤوس آياته، والفواصل: جمع فاصلة.

والفاصلة في القرآن هي آخر كلمة في الآية، وهي بمثابة السجعة في النثـر، وبمنزلـة القافية في النظم، (الجندي، 193). وسميت فاصلة لأنها فصلت بين الآيتين، الآيـة التـي هـي رأسها، والآية التي بعدها، وربما تكون هذه التسمية قد أُخذت من قوله تعالى: ﴿**كِتَـابٌ أُحْكِمَـتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾. (هود : 1)، وقوله تعالى: ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾. (فصلت : 3).

فالفواصل هي إذن: "الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها، أو تتقارب صـيغ النطـق بها" (حنفي، محمد رجاء، مكانة الفواصل في الإعجاز في القرآن الكريم)، وهذه الفواصـل مـن جملة المقصود من الإعجاز في القرآن الكريم، لأنها ترجع إلى محسنات الكلام، وهي من جانـب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل، لتقع في الأسماع فتتأثر بها نفـوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل.

والفاصلة القرآنية عنصر أساس من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملةً تمام المعنى، وتمام التوافق الصوتي في آن واحـد. (حنفي، 8). ومما لا شك فيه أن من أهم مقاصد الفواصل القرآنية أن تؤدي دورهـا فـي قـوة التركيب وتمام المعني ووضوحه ثم أن تكون شجية النغم، حلوة الجرس، عذبة الـرنين، تطـرب بلفظها كما تطرب بمعناها، ليتم لها الحسن من جميع جهاته، ومن هنا كانت تلاوة القـرآن؛ لأن الأداء الدقيق الجميل يستطيع أن يبرز هذا الانسجام الساري في الفواصل علـى أكمـل صـورة أُريدت له، وإذا كانت الفاصلة القرآنية يتم بها النغم في الآية، أو العبارة القرآنية فإنه يتم بها أيضاً إكمال معنى الآية، فليس النغم الصوتي هو الذي يحكم هذه الفاصلة أو تلك، إذ لا يصح للـنغم أن يطغى على المعنى المرتاد في الآية فيعكس هذا المعنى أو يغيره؛ لأن علو الفواصـل القرآنيـة، وسموها في البلاغة كان بسبب أنها واقعة في موقعها، وأن المعاني هي المقصد الأول، والألفـاظ بحسن أدائها، ورنة أنغامها تابعة لذلك.

وقد ذكر بعض العلماء أن نظم اللغة القرآنية قد خرج عن أصله في بعـض المواضـع مراعاةً للفواصل القرآنية، ومن أمثلته الواردة في جزء عم حذف المفعول وقفاً مراعاة لفواصـل الآيات كقوله تعالى: ﴿**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**﴾. (الضحى : 3)، التقدير: وما قلاك، وقوله: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى ۞ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾. (الضحى : 5،6،7)، أي:

فآواك، وهداك، وأغناك، وقوله: ﴿**وإذَا كالُوهم أَو وزنُوهم يخْسِرون**﴾. (المطففين:3)، تقديره: يخسرونهم الموزون، أو المكيل، فحذف المفعولين اللذين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً؛ حيث حذف الثاني من الفعلين "كال" و"وزن"، وحذف المفعولين معاً من الفعل: "يخسرون". (الزجاج، 1965م : 437-456).

ويعد حذف المفعول في مثل هذه المواضع مخالفاً للقواعد النحوية التي وضعها النحاة؛ وسبب هذه المخالفة عائد إلى مجيء هذه المفاعيل في أواخر الآيات القرآنية، وما تطلبه هذه الفواصل من موسيقى، تنتظم هذه كما انتظمت الآيات السابقة لها أو اللاحقة لها(الجرجاني:1992ص:153).

وقد ورد حذف العائد مع (ما) الموصولة في كثير من الآيات القرآنية مراعاة للنظم، وتمشياً مع موسيقى الفواصل في الآيات السابقة لها واللاحقة لها، ومنه قوله تعالى: ﴿**لا أَعبد ما تَعبدون**﴾. (الكافرون : 2)، والتقدير: ما تعبدونه.

وكذلك ما ورد من حذف ياء الفعل المضارع غير المجزوم، أي لم يسبق بجازم قوله تعالى: ﴿**والليل إِذَا يسر**﴾. (الفجر : 4)، وقد جاء الحذف هنا مخالفاً لقواعد النحو التي وضعها اللغويون والنحاة مراعاة لموسيقى الفواصل القرآنية في آيات السورة ذاتها؛ حيث حذفت الياء من كلمة: "يسر" دون أن يكون هناك عامل للجزم.

أقسام الفواصل في جزء (عم)

تنقسم الفواصل في جزء عم بحسب المصطلحات البلاغية التي أقرها العلماء إلى أربعة أقسام(الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1،ص:104):

1. فواصل متماثلة

وهي التي تبلغ درجة التماثل في الوزن، وحرف الروي، ومثال ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ﴿**أَلَم نَشْرح لَك صدرك۞ ووضعنَا عنْك وِزرك ۞ الَّذِي أَنْقَض ظَهرك ۞ ورفَعنَا لَك ذِكْرك**﴾. (الشرح : 1-4)، وقوله: ﴿**كَلَّا إِنَّها تَذْكِرةٌ ۞ فَمن شَاء ذَكَره ۞ فِي صحفٍ مكَرمةٍ ۞ مرفُوعةٍ مطَهرةٍ ۞ بِأَيدِي سفَرةٍ ۞ كِرامٍ بررةٍ ۞** ... إلخ﴾. (عبس : 11-16). ويمكن القول: إن جزء عم حافل بالأمثلة على هذا القسم من الفواصل المتماثلة في معظم سوره.

2. فواصل متقاربة أو متوازنة

وهي التي تتفق في الوزن دون حرف الروي، ومثال ذلك: ﴿**كَلَّا لَو تَعلَمون عِلْم الْيقِينِ ۞ لَتَرون الْجحِيم ۞ ثُم لَتَرونَّها عين الْيقِينِ ۞ ثُم لَتُسأَلُن يومئِذٍ عنِ النَّعِيمِ**﴾. (التكاثر: 5-8)،

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعوذُ بِرب الْفَلَق ۞ من شر ما خلق ۞ ومِن شَر غَاسِقٍ إِذَا وقَب ۞ ومِن شَر النفاثَاتِ فِي الْعقَد ۞ ومِن شَر حاسِدٍ إِذَا حسد** ﴾. (الفلق : 1-5).

3. فواصل مطرفة

وهي التي تتفق في حرف الروي فقط دون الوزن، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **والْعصرِ ۞ إِن الْإِنْسان لَفِي خُسرٍ ۞ إِلَّا الَّذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ وتَواصوا بِالْحق وتَواصوا بِالصبر**﴾. (العصر : 1-3)، وقوله تعالى: ﴿**فَويلٌ لِلْمصلِّين ۞ الَّذِين هم عن صلَاتِهِم ساهون ۞ الَّذِين هم يراؤُون ۞ ويمنَعون الْماعون**﴾. (الماعون : 4-7).

4. فاصلة منفردة

وهي التي ليست متماثلة ولا متقاربة فقد تأتي السورة القرآنية كلها على نسق معين، وتأتي فيها آية لها فاصلة مختلفة منفردة، كالفاصلة التي على حرف "الثاء" في سورة "الضحى" في قوله تعالى: ﴿ **وأَما بِنِعمةِ ربك فَحدثْ**﴾. (الضحى : 10)؛ حيث لا توجد فاصلة على حرف "الثاء" غير هذه الآية في تلك السورة، وكذلك الفاصلة التي على حرف "الهاء" في آخر سورة الانفطار في قوله تعالى: ﴿ **يوم لَا تَملِك نَفْس لِنَفْسٍ شَيئاً والْأَمر يومئِذٍ لِلَّهِ** ﴾. (الانفطار : 19)؛ حيث لا توجد فاصلة على حرف "الهاء" في غير هذه الآية في تلك السورة، وكذلك الفاصلة التي على حرف "الميم" في قوله تعالى: ﴿ **متَاعاً لَكُم ولِأَنْعامِكُم** ﴾. (النازعات : 33)؛ حيث لا توجد فاصلة على حرف "الميم" في غير هذه الآية في تلك السورة. ثم الفاصلة التي على حرف "الباء" في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا لَا تُطِعه واسجد واقْتَرِب**﴾. (العلق : 19)؛ إذ لا توجد فاصلة على حرف "الباء" في آيات تلك السورة.

وتلك أدلة على ثراء التعبير القرآني بنواحٍ صوتية متنوعة في سائر آياته، وسوره الواردة في جزء عم، مع ارتباط الفواصل بالمعنى.

الفواصل وتنوع حروفها

إن المتتبع للفواصل القرآنية في جزء عم ليراها بوجه عام قد جاءت على حرف واحد في السورة الواحدة، يتكرر، ويتردد مع كل آية كما هو حال صوت "الألف" في سورتي: الليل، والأعلى، وهما في السور المتوسطة في طولها، وكذلك صوت "اللام" في سورة الفيل، وصوت "الراء" في سورة الكوثر، وصوت "الدال" في سورة الإخلاص، وصوت "السين" في سورة الناس.

وأما إذا لم يتكرر الحرف نفسه في آيات السورة الواحدة، فقد تكرر ما يشبهه من الناحية الصوتية، ومثال ذلك التقارب بين أصوات النون والميم والدال والألف الواردة في سورة عم؛

وذلك لاتفاقها جميعاً في صفة الجهر، وكذلك صوتي الألف والهاء اللذين ينتظمان فـي فواصـل سورتي النازعات وعبس في معظم آياتهما؛ وذلك للتقارب بينهما في المخرج والصفة، ثم صوتي النون والميم من سور: الماعون، والتين، والمطففين، وغيرهن للتقـارب بينهمـا فـي المخـرج والصفة، وقد يدغمان لأن صوتهما واحد وهما مجهورات، حتى إننا لنكاد نسمع "النون" كـالميم" و"الميم" كالنون؛ (أنيس، 1979م : 70). لأن مخرجهما من الخيشوم.

ولعل الناظر في فواصل القرآن الكريم عامة يرى أن كثيراً منها قد بني علـى هـذين الحرفين، الأمر الذي أعطى للفواصل القرآنية ميزة التوافق الصوتي. ويتضح مما سـبق مـدى عطاء الفواصل القرآنية من التوافق الصوتي؛ لأن الإيقاع الصوتي من أبرز سمات نظم القـرآن الكريم.

علاقة الفاصلة بما قبلها:

إن الفواصل القرآنية لا تأتي لمجرد الحلية القرآنية دون اعتبار للمعنى، ولكن الفواصل تأتلف مع ما يدل عليه الكلام، وقد رأى القدامى أن علاقة الفاصلة بما قبلها في النص القرآني في الآية تنحصر في علاقات أربعة هي:

1. التمكين

وهو أن يمهد قبلها تمهيدٌ تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارهـا، غيـر نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً بحيـث لـو طرحـت اختـل المعنـى واضطرب الفهم، (الزركشي، 1957م: 109). ولقد تناول البلاغيـون "التمكـين" فـي بحـوثهم الكثيرة، وهم يطلقون عليه "تشابه الأطراف"، وهو" أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنـى"، وهو نوع من "مراعاة النظير"، وهـو: "أن يجمـع فـي الكـلام بـين أمـر ومـا يناسـبه لا بالتضاد"(الزركشي، 1957م: 109).

وسماه قدامة ومن تابعه: "ائتلاف القافية"، والباقون سموه: "تمكين القافية"؛ وهو الأصـح وهو: "أن تكون القافية متمكنة في موضعها، مستقرة في قرارهـا. غيـر نـافرة ولا قلقـة ولا مستدعاة مما ليس له تعلق بلفظ البيت أو معناه. وأكثر فواصل القرآن الكريم على هذه الصورة.

2. التصدير

وهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية، وقد قسمه "ابن المعتز" إلى ثلاثـة أقسام. (ابن المعتز، 93):

القسم الأول: أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر

وذلك كقوله تعالى: ﴿ **والسماءِ والطارق ۞ وما أدراك ما الطارقُ ۞ ... إنهم يكيدون كيداً ۞ وأكيد كيداً** ﴾. (الطارق : 1،2،15،16)، وقوله تعالى: ﴿ **وما أدراك ما يوم الدين ۞ ثُم ما أدراك ما يوم الدين** ﴾. (الانفطار : 17،18).

القسم الثاني: أن يوافق أول كلمة منه

كقوله تعالى: ﴿**وكذبوا بِآياتِنَا كِذاباً**﴾. (عم : 28)، وقوله تعالى: ﴿**فذكِر إنما أَنْتَ مذكر**﴾. (الغاشية : 21).

القسم الثالث: أن يوافق بعض كلماته

كقوله تعالى: ﴿ **فأما الإنْسان إذَا ما ابتَلاه ربه فأكْرمه ونَعمه فيقُولُ ربي أكْرمن ۞ ... كلا إذَا دكتِ الأرض دكّاً دكّاً ۞ وجاء ربك والْملك صفّاً صفّاً ۞ وجِيء يومئِذٍ بِجهنم يومئِذٍ يتَذكر الإنْسان وأنى له الذكْرى** ﴾. (الفجر : 15،21،22،23).

3. التوشيح

وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، والفرق بينه وبين التصدير أن التوشيح دلالته معنوية، وذلك كقول المولى تبارك وتعالى: ﴿**يومئِذٍ يصدر الناس أشْتَاتاً لِيروا أعمالهم ۞ فمن يعملْ مِثْقالَ ذَرةٍ خَيراً يره ۞ فمن يعملْ مِثْقالَ ذَرةٍ خَيراً يره** ﴾. (الزلزلة : 6،8)؛ فإن قوله تعالى: ﴿ **لِيروا أعمالهم** ﴾ يدل على التقسيم. فإن العمل قسمان، والجزاء له نوعان: فإن كان العمل مثقال ذرة من الخير كان الجزاء خيراً، وإن كان العمل مثقال ذرة من الشر كان الجزاء شراً.

وكما هو واضح، فإن بلاغة "التوشيح" تظهر في إثارة السابق في اللفظ ذكاء المخاطب لتقدير اللاحق قبل النطق به، وإدخاله شريكاً مع المتكلم في إتمام الكلام عن طريق التداعي، وهو نوع من رد الأعجاز على الصدور، روعي فيه ملحظ خاص؛ وهو إشعار السابق باللاحق.

ويعد "التوشيح" من أزهى أنواع التكرير وأدلها عل الترابط النفسي لمدلول التعبير، وله تهش نفس السامع بالتحرك مع المتكلم، وانتظار صدق الحدس بما يقدر من اللفظ، وقد جاء أكثره لتقرير المعاني والأحكام بالتذييل أو التعليل.

4. الإيغال

وقد سمي الإيغال بذلك لأن المتكلم يكون قد جاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادة الحد.

ومن أمثلة الإيغال في جزء عم قوله تعالى: ﴿ **وما أُمِروا إلا لِيعبدوا الله مخْلِصين له الدين حنَفَاء ويقِيموا الصلاةَ ويؤْتُوا الزكاةَ وذَلِك دِين القَيمةِ** ﴾. (البينة : 5)؛ وأما قوله تعالى: ﴿**وما أمروا ... ويؤتوا الزكاة**﴾ فإن المعنى قد تمّ به، ولكنه أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة، فقال: ﴿ **وذَلِك دِين القَيمةِ** ﴾، وكذلك قوله في السورة نفسها: ﴿**إن الذِين كفَروا مِن أَهلِ الكِتَابِ والمشْرِكين فِي نَارِ جهنم خَالِدِين فِيها**﴾ فإن المعنى قد تم بذلك في وصفهم، ولكنه جاء بالفاصلة تتميماً لما قاله: ﴿**أُولَئِك هم شَر البرِيةِ** ﴾. (البينة : 6).

ويمكن أن نلحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿**إن الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ أُولَئِك هم خَير البرِيةِ** ﴾. (البينة : 7)، وقوله: ﴿ **فَمن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ خَيراً يره ۞ ومن يعملْ مِثْقَالَ ذَرةٍ شَراً يره** ﴾. (الزلزلة : 7،8).

وقد عرّف "أبو هلال العسكري" هذا "الإيغال" بقوله: "هو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً، وشرحاً، وحسناً، وأصل الكلمة من قولهم، أوغل في الأمر إذا أبعد في الذهاب فيه". (أبو هلال العسكري، 1952م : 301).

فمن خلال علاقات الفواصل الأربع السابقة: "التمكين"، و"التصدير"، و"التوشيح"، و"الإيغال"، ومن خلال أثرها في القرآن الكريم يتضح أن للفاصلة دوراً بارزاً في أنها تسهم في الإعجاز عن طريق هذه العلاقات.

ويمكن القول: إن الارتباط بين الفواصل والآيات التي سيقت من أجلها يدل على التحام الفاصلة في الآية التحاماً تاماً يستقر في النفس، وتتقبله أعظم قبول، وقد يظن في بعض الأحيان أن الآية تهيئ الفاصلة بعينها، ولكن القرآن الكريم يأتي بغيرها، إيثاراً لما هو ألصق بالمعنى، وأشد وفاء بالمراد.

وهذا الارتباط قد يكون واضحاً من أول وهلة، وقد يحتاج إلى طول، وروية، ودقة إمعان؛ فلقد أشار إلى هذا الفخر الرازي حيث قال: "ما من حرف ولا حركة في القرآن الكريم إلا وفيه فائدة، ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً". (الرازي، 62).

وهكذا فإن الفاصلة القرآنية لها دور واضح في أنها تسهم في الإعجاز القرآني عن طريق ما ذكرناه من علاقات التمكين والتصدير والتوشيح وغيرها من العلاقات الأخرى التي لها أثر بارز في بلاغة القرآن الكريم.

الفواصل وقيمتها اللغوية

إن الناظر إلى الفواصل في الآيات القرآنية يجد لها دوراً واضحاً في بلاغتها لأنها محك القدرة، كما أن القافية -و عز وجل المثل الأعلى- محك قـدرة الـشاعر؛ فـبعض الـشعراء يضطرون إلى القافية أحياناً لإكمال البيت، وإن كان المعني المراد منها بعيداً قـد يـضنينا فـي البحث عنه (ابن سنان:1982،ص:20)، وليس في فواصل القرآن الكريم فاصلة واحدة جـاءت لإكمال الآية إكمالاً معيناً؛ بل لكل فاصلة سرها البلاغي الجلي أو الخفي؛ لأنه لا يمكن اسـتبدال كلمة في القرآن الكريم بكلمة أخرى أياً كان موقعها في وسط الآيات أو أولها وخواتيمها؛ لأنها لا تقوم مقامها، ولا تؤدي معناها، إضافة إلى أنها لا تتوافق مع نظامه الصوتي وجمالـه اللغـوي (الجرجاني:1992،ص:106).

ومما يجدر ذكره: إنه قد كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المـد والاـين وإلحـاق النون، وحكمته: وجود التمكن من التطريب بذلك. كما قال سيبويه: "إنهـم إذا ترنمـوا يلحقـون الألف والياء والنون، لأنهم أرادوا مدّ الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا، وجاء في القـرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع" (سيبويه، 1975، 4\185).

السور القرآنية في جزء "عم"

يبلغ عدد السور القرآنية الكريمة في جزء "عم " سبعاً وثلاثين سورة كريمة مرتبة كمـا يلي :1-النبأ -2-النازعات -3- عبس -4- التكـوير -5- الانفطـار -6- المطففـين -7- الانشقاق -8- البروج -9- الطارق -10-الأعلى -11-الغاشية -12-الفجر -13-البلد -14- الشمس -15-الليل -16-الضحى -17-الشرح -18- التين -19- العلق -20- القدر -21- البينة -22-الزلزلة -23-العاديات -24-القارعة -25-التكاثر -26-العصر -27- الهمزة - 28-الفيل -29-قريش -30-الماعون -31-الكوثر -32-الكافرون -33النصر -34- المـسد -35- الإخلاص -36-الفلق -37- الناس.

وهذه السور عند الحافظ ابن كثير مكية ما عـدا: "المطففـين"، و"البينـة"، و"النـصر"، و"المعوذتين"، أما "الكوثر" فعنده مدنية، وقيل: مكية.(ابن كثير، تفسير القرآن العظـيم،4\483-560-571).

السورة	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
(1) النبـأ	الفاصلة	ن	م	ن	ن	ن	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40		
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا		
النتيجة	الحرف	ن	م	ا	المجموع										
	التكرار	4	1	35	40										
(2) النازعات	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	م	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	43	44	45	46										
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا										
النتيجة	الحرف	ا	هـ	م	المجموع										
	التكرار	36	9	1	46										
(3) عبـس	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	هـ	هـ	هـ	هـ
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	ا	ا	ا	ا
	الآية	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42
	الفاصلة	ا	ا	ا	م	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
النتيجة	الحرف	ا	هـ	م	المجموع										
	التكرار	17	24	1	42										
(4) التكوير	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت	ت
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	س	س	س	س	م	ن	ن	ن	ن	ن	م	ن	ت	م
	الآية	29													
	الفاصلة	ن													
النتيجة	الحرف	ت	س	م	ن	المجموع									
	التكرار	14	4	3	8	29									
(5)	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ت	ت	ت	ت	ت	م	ك	ك	ن	ن	ن	ن	م	م

الانفطار	**الآية**	15	16	17	18	19									
	الفاصلة	ن	ن	ن	ن	هـ									
النتيجة	**الحرف**	ت	ك	م	ن	هـ	المجموع								
	التكرار	5	2	3	8	1	19								
(6) المطففين	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	م	ن	ن	م	ن	ن
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	ن	م	ن	ن	ن	م	ن	م	ن	م	م	ن	م	ن
	الآية	29	30	31	32	33	34	35	36						
	الفاصلة	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن						
النتيجة	**الحرف**	ن	م	المجموع											
	التكرار	28	8	36											
(7) الانشقاق	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ت	ت	ت	ت	ت	هـ	هـ	ا	ا	هـ	ا	ا	ا	ر
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25			
	الفاصلة	ا	ق	ق	ق	ق	ن	ن	ن	ن	م	ن			
النتيجة	**الحرف**	ت	هـ	ا	ر	ق	المجموع								
	التكرار	5	3	6	1	4	25								
(8) البروج	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ج	د	د	د	د	د	د	د	د	ق	ر	د	د	د
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22						
	الفاصلة	د	د	د	د	ب	ط	د	ظ						
النتيجة	**الحرف**	ج	د	ق	ر	ب	ط	ظ	المجموع						
	التكرار	1	16	1	1	1	1	1	22						
(9) الطارق	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ق	ق	ب	ظ	ق	ق	ب	ر	ر	ر	ع	ع	ل	ل
	الآية	15	16	17											
	الفاصلة	1	1	1											
النتيجة	**الحرف**	ق	ب	ظ	ر	ع	1	ل	المجموع						
	التكرار	4	2	1	3	2	3	2	17						
(10) الأعلى	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	15	16	17	18	19									
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا									
النتيجة	**الحرف**	ا	المجموع												
	التكرار	19	19												
(11)	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14

الغاشية	**الفاصلة**	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	ع	ع	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26		
	الفاصلة	هـ	هـ	ت	ت	ت	ت	ر	ر	ر	ر	م	م		
النتيجة	**الحرف**	هـ	ع	ت	ر	المجموع									
	التكرار	14	2	4	4	26									
(12) الفجر	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ر	ر	ر	ر	ر	د	د	د	د	د	د	د	ب	د
	الآية	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28
	الفاصلة	ن	ن	م	ن	ا	ا	ا	ا	ا	ب	د	د	هـ	هـ
	الآية	29	30												
	الفاصلة	ي	ي												
النتيجة	**الحرف**	ر	د	ب	ن	م	ا	ي	هـ	المجموع					
	التكرار	5	10	2	3	1	5	2	2	30					
(13) البلـــد	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	د	د	د	د	د	ا	د	ن	ن	ن	هـ	هـ	هـ	هـ
	الآية	15	16	17	18	19	20								
	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ								
النتيجة	**الحرف**	د	ا	ن	هـ	المجموع									
	التكرار	6	1	3	10	20									
(14) الشمس	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	15													
	الفاصلة	ا													
النتيجة	**الحرف**	ا	المجموع												
	التكرار	15	15												
(15) الليـــل	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	15	16	17	18	19	20	21							
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا							
النتيجة	**الحرف**	ا	المجموع												
	التكرار	21	21												
(16) الضحى	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11			
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ر	ر	ث			
النتيجة	**الحرف**	ا	ر	ث	المجموع										
	التكرار	8	2	1	11										
(17) الشرح	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8						
	الفاصلة	ك	ك	ك	ك	ا	ا	ب	ب						

النتيجة	**الحرف**	ك	ا	ب	المجموع										
	التكرار	4	2	2	8										
(18) التيـن	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8						
	الفاصلة	ن	ن	ن	م	ن	ن	ن	ن						
النتيجة	**الحرف**	ن	م	المجموع											
	التكرار	7	1	8											
(19) العلـق	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14
	الفاصلة	ق	ق	م	م	م	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا	ا
	الآية	15	16	17	18	19									
	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	هـ	ب									
النتيجة	**الحرف**	ق	م	ا	هـ	ب	المجموع								
	التكرار	2	3	9	4	1	19								
(20) القـدر	**الآية**	1	2	3	4	5									
	الفاصلة	ر	ر	ر	ر	ر									
النتيجة	**الحرف**	ر	المجموع												
	التكرار	5	5												
(21) الزلزلة	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8						
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	م	هـ	هـ						
النتيجة	**الحرف**	ا	م	هـ	المجموع										
	التكرار	5	1	2	8										
(21) العاديات	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11			
	الفاصلة	ا	ا	ا	ا	ا	د	د	د	ر	ر	ر			
النتيجة	**الحرف**	ا	د	ر	المجموع										
	التكرار	5	3	3	11										
(22) القارعة	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11			
	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	ث	ش	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ			
النتيجة	**الحرف**	هـ	ث	ش	المجموع										
	التكرار	9	1	1	11										
(23) التكاثر	**الآية**	1	2	3	4	5	6	7	8						
	الفاصلة	ر	ر	ن	ن	ن	م	ن	م						
النتيجة	**الحرف**	ر	ن	م	ر	المجموع									
	التكرار	2	4	2	2	8									
(24) العصر	**الآية**	1	2	3											
	الفاصلة	ر	ر	ر											
النتيجة	**الحرف**	ر	المجموع												
	التكرار	3	3												

(25)	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8	9					
الهمزة	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ					
النتيجة	الحرف	هـ	المجموع												
	التكرار	9	9												
(26)	الآية	1	2	3	4	5									
الفيـل	الفاصلة	ل	ل	ل	ل	ل									
النتيجة	الحرف	ل	المجموع												
	التكرار	5	5												
(27)	الآية	1	2	3	4										
قريش	الفاصلة	ش	ف	ت	ف										
النتيجة	الحرف	ش	ف	ت	المجموع										
	التكرار	1	2	1	4										
(28)	الآية	1	2	3	4	5	6	7							
الماعون	الفاصلة	ن	م	ن	ن	ن	ن	ن							
النتيجة	الحرف	ن	م	المجموع											
	التكرار	6	1	7											
(29)	الآية	1	2	3											
الكوثر	الفاصلة	ر	ر	ر											
النتيجة	الحرف	ر	المجموع												
	التكرار	3	3												
(30)	الآية	1	2	3	4	5	6								
الكافرون	الفاصلة	ن	ن	د	م	د	ن								
النتيجة	الحرف	ن	د	م	المجموع										
	التكرار	3	2	1	6										
(31)	الآية	1	2	3	4	5									
المسد	الفاصلة	ب	ب	ب	ب	د									
النتيجة	الحرف	ب	د	المجموع											
	التكرار	4	1	5											
(32)	الآية	1	2	3	4										
الإخلاص	الفاصلة	د	د	د	د										
النتيجة	الحرف	د	المجموع												
	التكرار	4	4												
(33)	الآية	1	2	3	4	5									
الفلـق	الفاصلة	ق	ق	ب	د	د									
النتيجة	الحرف	ق	ب	د	المجموع										

	التكرار	2	1	2	5										
(34)	الآية	1	2	3	4	5	6								
الناس	الفاصلة	س	س	س	س	س	س								
النتيجة	الحرف	س	المجموع												
	التكرار	6	6												

أسماء السور المكية في جزء "عم" وبيان عدد الفواصل في كل سورة

السورة	1-النبأ	2-النازعات	3-عبس	4-التكوير	5-الانفطار	6-المطففين	7-الانشقاق
الفواصل	40	46	42	29	19	36	25
السورة	8-البروج	9-الطارق	10-الأعلى	11-الغاشية	12-الفجر	13-البلد	14-الشمس
الفواصل	22	17	19	26	30	20	15
السورة	15-الليل	16-الضحى	17-الشرح	18-التين	19-العلق	20-القدر	21-الزلزلة
الفواصل	21	11	8	8	19	5	8
السورة	22-العاديات	23-القارعة	24-التكاثر	25-العصر	26-الهمزة	27-الفيل	28-قريش
الفواصل	11	11	8	3	9	5	4
السورة	29-الماعون	30-الكوثر	31-الكافرون	32-المسد	33-الإخلاص	34-الفلق	35-الناس
الفواصل	7	3	6	5	4	6	6

جدول يبين عدد السور المكية وعدد الآيات وعدد الفواصل فيها

عدد السور المكية في جزء "عم "	35
عدد الآيات	554
عدد الفواصل	554

أسماء السور المدنية في جزء "عم" وبيان عدد الفواصل في كل سورة

السورة	البينة	النصر	العدد الكلي
عدد الآيات	8	3	11
عدد الفواصل	8	3	11

جدول توضيحي يبين حروف الفواصل القرآنية كما وردت في السور المكية في جزء "عم"

م	م	الحرف / السورة	ن	م	ا	هـ	ت	س	ك	ر	ق	ح	د	ف	ب	ط	ظ	ع	ل	ي	ث	ش
1	40	النبأ	4	1	35																	
2	46	النازعات		1	36	9																
3	42	عبس		1	17	24																

م	م	الحرف السورة	ن	م	ا	هـ	ت	س	ك	ر	ق	ح	د	ف	ب	ط	ظ	ع	ل	ي	ث	ش
4	39	التكوير	8	3			14	4														
5	19	الانفطار	8	3		1	5		2													
6	36	المطففين	28	8																		
7	25	الانشقاق	5	1	6	3	5			1	4											
8	22	البروج								1	1	1	16		1	1	1					
9	17	الطارق			3					3	4				2		1	2	2			
10	19	الأعلى			19																	
11	26	الغاشية		2		14	4			4								2				
12	30	الفجر	3	1	5	2				5			10		1					3		
13	20	البلد	3		1	10							6									
14	15	الشمس			15																	
15	21	الليل			21																	
16	11	الضحى			8					2											1	
17	8	الشرح			2				4						2							
18	8	التين	7	1																		
19	19	العلق		3	9	4					2				1							
20	5	القدر								5												
21	8	الزلزلة		1	5	2																
22	11	العاديات			5					3			3									
23	11	القارعة				9															1	1
24	8	التكاثر	4	2						2												
25	3	العصر								3												
26	9	الهمزة				9																
27	5	الفيل																	5			
28	4	قريش					1							2								1
29	7	الماعون	6	1																		
30	3	الكوثر								3												
31	6	الكافرون	3	1									2									
32	5	المسد											1		4							
33	4	الإخلاص											4									
34	5	الفلق									2		2		1							
35	6	الناس						6														
554			84	31	183	85	29	10	6	32	13	1	44	12	1		2	4	7	3	2	2

جدول توضيحي يبين حروف الفواصل القرآنية كما وردت في السور المدنية في جزء "عم"

السورة/الفاصلة	هـ	ا	ح
البينة	8		
النصر		2	1

جدول يبين تكرار فواصل الآيات الكريمة تنازلياً كما وردت في السور المكية والمدنية في جزء "عم"

الحرف	ا	هـ	ن	د	ر	م	ت	ق	ب	س	ل	ك	ع	ي	ظ	ث	ش	ف	ج	ط	ح
التكرار	189	95	79	44	32	30	29	13	12	10	7	6	4	3	2	2	2	2	1	1	1

السورة	الآية	1	2	3	4	5	6	7	8
21-البينة	الفاصلة	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ
النتيجة	**الحرف**	**هـ**	**المجموع**						
	التكرار	**8**	**8**						
	التكرار	5	1	2	8				

السورة	الآية	1	2	3
33-النصر	الفاصلة	ح	أ	أ
النتيجة	الحرف	ح	أ	المجموع
	التكرار	1	2	3

النتائج

1. التكرار الأكبر في فواصل الآيات في السور المكية في جزء "عم" كان لصوت الألف، ومن المعروف أن أصوات اللين عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه، وهو ما يتناسب مع قوة المعاني التي يشير إليها جزء "عم"؛ لأن سوره مكية، وعددها يعدل ثلث القرآن، ويغلب على موضوعاتها الدعوة إلى التوحيد وعبادة ا وحده، وإثبات الرسالة، واثبات البعث والحساب وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية؛ ولذلك فإن صوت الألف وما له من خصائص صوتية جعلته يتصدر الأصوات اللغوية في فواصل آيات جزء "عم".

فلعل امتداد النفس عند النطق بالألف، وما يصحبه من امتداد الصوت يتناسب مع أسلوب الدعوة إلى ا ، والمجادلة لأهل الباطل بالبراهين العقلية، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من طول نفس، وسعة صدر، وامتداد الصوت، وهو ينادي المشركين ومن والاهم، ويلح عليهم بنفسه وصوته حتى يقربهم له، ويجذب أسماعهم إليه، ويسمعهم أقواله، ويقنعهم بما يدعو إليه.

كما أن صفتي الرخاوة والجهر اللتين يمتاز بهما صوت الألف الغالب على فواصل الآيات في جزء "عم" يتناسب مع معاني الوعيد، وما تحتاجه من رفع الصوت، واستمراره، وما فيها من أهوال ومواقف صعبة تجعل الولدان شيباً، كالحديث عن البعث وما أعده ا تعالى من جزاء للكافرين والظالمين، والإكثار من ذكر يوم القيامة، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، وكذلك فضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

ولعل هذه المعاني تتضح بجلاء في سورتي الليل والأعلى فالتذكير بخلق ا للزمان والإنسان والترغيب في ثوابه وجنته والترهيب من عقاب ا وعذاب جهنم لمن أعرض عن ذكر ا وعطاه حيث أصاب في آيات الوعيد التي يمتد معها النفس ترغيباً وترهيباً.

وكذلك سورة الأعلى التي تنتهي جميع فواصلها بصوت الألف أيضاً وتحمل المعاني نفسها كسورة الليل.

ومما يجدر ذكره أيضاً أن نسبة الأصوات الغالبة على فواصل آيات هذا الجزء من القرآن الكريم هي أصوات مجهورة: كالألف، والنون، والدال، والراء، والميم، واللام، والقاف،

والباء، والعين، والظاء، والباء، والجيم، والطاء. ولعل الناظر إلى جـدول الأصـوات لفواصـل الآيات يدرك أن الأصوات المجهورة تزيد على ثمانين في المائة من مجمل أصواتها.

2. إن الأصوات الانفجارية التي وردت في هذا الجزء: كالـدال (44)، والتـاء (29)، والقـاف (13)، والباء (12)، والكاف (6)، والطاء (1)، والجيم (1)، والتي يصل عددها إلى مائة وسـت فواصل قرآنية؛ إذ إن صفة الشدة والانفجار ناتجة عن حبس الهواء حبساً كاملاً بواسطة أعـضاء النطق المتفاوتة عند مخرج كل صوت منها، تتناسب مع المعاني التي تدعو إلى وضـع الأسـس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وإثبات قدرة ا ، وبيان عظمته في خلقه، وإفراده في الوحدانية، كما هو واضح من صوت الدال في سـور: البلـد، والبـروج، والإخلاص. وكذلك الإتيان بها للتعبير عن مواقف معينة تستدعي الشدة كتهديد أبـي لهـب فـي سورة المسد، والتذكير في قوة ا عز وجل، وعظيم قدرته في سـور: التكـوير، والانـشقاق، والانفطار، والمتمثل في تكرار صوت التاء. وكذلك تكرار صوت القاف، والمشفوع مـع شـدته وانفجاره بشدة القسم وقوته، تأكيداً على صدق الرسالة، وما أعده ا للمؤمنين من حسن الثواب، وللكافرين من سوء العقاب؛ وهذا واضح في سورة الانشقاق، وصيغة القسم فيها وفاصلة القاف.

3. إن الأصوات الاحتكاكية الرخوة التي وردت في فواصل الآيات التي يزيد عددها على عـدد الأصوات الانفجارية توضح بجلاء ما تتركه للقارئ من فرصة بعد الوعيد ليعـود إلـى رشـده وعقله، ويقبل على طاعة ربّه، ويأخذ العظة والعبرة من خلال ذكر قـصص الأنبيـاء، والأمـم السابقة زجراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول ا (ﷺ)؛ حتى يصبر على آذاهم، ويطمئن إلى الانتصار عليهم. ولعل هذا يتمثل في أصوات: الألـف، والهـاء، والنـون، والميم، والياء، والسين، وغيرها.

وهذا يتضح في فواصل سورتي التكاثر والهمزة، حيث إن فواصل سورة التكاثر متنوعه بين الراء والنون والميم وهي أصوات احتكاكية تعطي فسحة للعبرة بعد التذكير بأحوال المـوتي وما ينبغي على العبد اختياره لتجنب العذاب والعيش في نعيم الآخرة.

فقد كرر قوله كلا سوف تعلمون (للتأكيد) كلا سوف تعلمون علم اليقين لترون الجحيم المعـدة لكم ثم لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي يشغلكم عن ذكر ربكم أما النعيم الذي لا يشغل الإنسان عن مولاه فهو مباح.

وكذلك صوت الهاء في فواصل سورة الهمزه وهو صوت احتكاكي يجعل السامع يفكـر وقتاً لمعرفة العقوبة المترتبة على فعل اللمز والهمز قبل القيام بـه وهـذا متحقـق فـي صـفة الاحتكاكية لصوت الهاء الملائمة لتلك المعاني التي تحمل معني الهلاك لكل طعان عيـاب فـي

أعراض الناس الذي جمع مالا وأخذ يعده المرة بعد المرة يخيل إليه أن ماله يخلده في الدنيا كلا ليرمين في جهنم التي تحطم كل ما يرمي إليها وما أدراك ما هي نار ا المتقده التي تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليها إنها عليهم مطبقة وهم موثقون في أعمده ممتدة.

4. إن الأصوات المهموسة الواردة في فواصل آيات هذا الجزء وإن كانت قليلة مقارنة بالأصوات المجهورة؛ إلا أنها تحمل دلالات معينة في مواضعها، نذكر منها على سبيل المثال: صوت التاء الوارد في تسعة وعشرين موضعاً في سور: التكوير، والانشقاق، والانفطار؛ إذ يحمل صفة الهمس الواردة في معرض الحديث عن التفكر في خلق ا في السموات والأرض والكواكب والنجوم والبحار والأنهار والقبور والعشار والجنة والنار وغيرها، وما يترتب عليه من خشوع القلب، وهدأة النفس عند معرفة الصانع والمسير لكل ما كان وما يكون وما سيكون الذي يدل عليه اقتران ذلك كله بـ "إذا" الظرفية كما يستقبل في الزمان.

وكذلك صوت السين الذي تكرر عشر مرات، منها ست مرات في سورة الناس، والسين صامت مهموس لثوي احتكاكي. وفي هذا يقول سيد قطب –رحمه ا : "وهناك لفتة ذات مغزى في وصف الوسواس بأنه "الخناس"؛ فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة؛ فيدب ويوسوس، ولكنها من جهة أخرى توحي بضعفه أمام من يستيقظ لمكره، ويحمي مداخل صدره، فهو سواء كان من الجنة، أم كان من النار إذا وجهه خنس، وعاد من حيث أتى وقبع واختفى، وذلك لضعفه عند المواجهة، وانهزامه. وتكرار الفاصلة المنتهية بحرف السين يعبر عن هذه المعاني بما لحرف السين من صفات الهمس والاستفال تلتقي بشكل عجيب مع عملية الوسوسة التي نكاد نتخيلها حقيقة واضحة أمامنا، ونكاد نسمع صفير بعض الحروف الخفيفة التي تدفع الإنسان إلى الإثم والخطيئة والغواية والضلال.(قطب، 1973م : 4011).

5. حذف وزيادة بعض الأصوات مراعاة لفواصل الآيات عند الوقف عليها وتشمل:

أ- حذف بعض الأصوات وفقاً مراعاة لموسيقى الفاصلة القرآنية

ومن ذلك حذف الياء من الفعل المضارع غير المجزوم؛ أي الذي لم يسبق بجازم نحو قوله تعالى: "والليل إذا يسر". (الفجر : 4)، وقد جاء الحذف هنا مخالفاً لقواعد النحو التي وضعها اللغويون والنحاة مراعاة لموسيقى الفواصل القرآنية في آيات السورة ذاتها؛ حيث حذفت الياء من كلمة "يسر" دون أن يكون عامل للجزم. ويبدو أن حذف الياء قد حدث انسجاماً مع موسيقى الفاصلة القرآنية، وحفاظاً على التأثير الذي توقعه أنغام الفاصلة القرآنية للآيات السابقة واللاحقة لها (الجرجاني:1992،ص:106).

وكذلك حذف تاء التأنيث صوتاً وإبدالها هاء وقفاً في كثير من الفواصل القرآنية في آيات هذا الجزء. فقد ذكر النحاة أنها تحذف صوتاً حالة الوقف عليها وتبدل هاء ساكنة، فإذا لحقت تاء التأنيث الاسم المفرد فلا يخلو أن يكون ما قبل تاء التأنيث متحركاً أو ساكناً، وهذا الساكن إما أن يكون معتلاً أو صحيحاً، فإذا كان ما قبل صوت تاء التأنيث متحركاً نحو: "الغاشية". (الغاشية : 1)، "العقبة – المرحمة – المشأمة". (البلد : 11،12،17،19)، "الزبانية". (العلق : 18)، "البينة – القيمة – البرية". (البينة : 1،5،6)، وغيرها. فإن تاء التأنيث تحذف صوتاً، ويوقف عليها بإبداله ا"هاء" في أفصح اللغات وأشهرها عند النحاة(ابم هشام، أوضح المسالك 4\348).

وكذلك في معظم قراءات القراء أيضاً(الجزري، النشر2\133)، ولعل دلالة ذلك أن يفرقوا في الوقف بين هذه التاء التي هي علامة للتأنيث، والتاء التي هي أحد أصول الكلمة نحو كلمة: "البيت". (قريش : 3)؛ إذ وقفوا على الأولى بصوت الهاء، وعلى الثانية بصوت التاء.

وقد وردت بذلك أمثلة كثيرة في قراءة أهل الأداء من القراء لآيات القرآن الكريم، فإذا ما أريد الوقف على تاء التأنيث في الأسماء المفردة نحو: "الراجفة – الرادفة – واجفة – خاشعة – الحافرة - نخرة- خاسرة". (النازعات : 6،13)، وغيرها، وما أشبه ذلك في الكلمات المرسومة بالهاء والتي تحذف فيها تاء التأنيث صوتاً وخطاً، وتبدل هاء صوتاً وخطاً، ويوقف عليها بالهاء أيضاً؛ وذلك بعد حذف الحركة القصيرة كالضمة، والفتحة، والكسرة في الكلمة الموقوف عليها، أو حذف الحركة الطويلة "التنوين" رفعاً ونصباً وجراً في الكلمات غير المعرفة بـ "أل" عند الوقف عليها نحو: "خاشعة - ناصبه – حامية - آنية – ناعمة – راضية – عالية- لاغية – جارية – مرفوعة – موضوعة – مصفوفة - مبثوثة". (الغاشية : 2-16)، وغيرها، ويشمل هذا الحذف للحركة القصيرة والطويلة معظم أنواع الوقف المعروفة بعد حذف تاء التأنيث صوتاً وخطاً وإبدالها هاء حالة الوقف عليها.

ولعل دلالة ذلك دلالة نغمية، وانسجام مع موسيقى الفواصل القرآنية في الآيات السابقة واللاحقة لها، وما تحدثه من تأثير في نفس القارئ والسامع على السواء. وتجعله يعيش في جو نفسي ونغمي يرتبط بجمال الأداء وحسن الصوت عند القراء.

وكذلك حذف صوت الضمير الغائب العائد مع "ما" وقفاً؛ إذ ورد حذف العائد مع "ما" الموصولة في كثير من الآيات القرآنية مراعاة للنظم، وتمشياً مع موسيقى الفواصل في الآيات التي تنتظم السورة الواحدة، ومما ورد منه في جزء عم قوله تعالى: "ما أحضرت". (التكوير : 14)، "ما قدمت وأخرت". (الانفطار : 5)، "ما تعبدون". (الكافرون : 2)، وغيرها. ويعلل

السهيلي حسن الحذف مع ما لإبهامها، فالذي فيها من الإبهام قربها من "ما" التي هي شرط لفظاً ومعنى، ألا ترى أن "ما" إذا كانت شرطاً تقول فيها ما تصنع أصنع مثله، ولا تقول: ما تصنعه؛ لأن الفعل قد عمل فيها، فلما ضارعتها هذه التي هي موصولة، وهي بمعنى الذي أجريت في حذف الهاء مجراها في أكثر الكلام.(السهيلي، 1114هـ : 169).

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره السهيلي في حسن حذف العائد مع "ما" لإبهامها أنه حسن حذفه أيضاً في هذه الآيات لما تطلبه موسيقى الفواصل في السورة ذاتها.

وكذلك حذف صوت الضمير المتصل الواقع مفعولاً به وقفاً في فواصل الآيات، ومنه قوله تعالى: "ما ودعك ربك وما قلى"، التقدير: وما قلاك، ومثله قوله: "فـآوى – فهـدى – فـأغنى". (الضحى : 3،8،7،6)، أي: فآواك، وهداك، وأغناك، وقوله: "وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون". (المطففين : 3)، تقديره: يخسرونهم الموزون أو المكيل؛ فحذف المفعولين الذين ليس أصلهما مبتدأ وخبر، حيث حذف الثاني من الفعلين "كال" و"وزن"، وحذف المفعولين معاً من الفعل "يخسرون". (الزجاج، 1965م : 437-456). ومن الملاحظ أن المحذوف صوت صامت، أي: صوت الكاف الضمير المتصل والفتحة القصيرة بعده، وهذا الصوت ذو دلالة خاصة، وهي دلالته على ضمير المخاطب المفرد، وكذلك صوت الهاء في قوله: "يخسرونهم"؛ فهو ذو دلالة على الغائب المفرد، وملحق بميم الجمع، وهذه الدلالة ناتجة عن وقوعهما آخر الكلمة خلافاً لوقوعهما في أولها أو أوسطها؛ إذ أنهما يعربان في محل نصب مفعول به، ومع أنهما صامتان ولهما أهمية في النطق والتركيب النحوي إلا أنهما حذفا في فواصل الآيات مراعاة للانسجام الصوتي بما قبلها وما بعدها. كما يعتبر حذف المفعول في مثل هذه المواضع مخالفاً للقواعد النحوية التي وضعها النحاة؛ وسبب هذه المخالفة عائد إلى مجيء هذه المفاعيل في أواخر الآيات القرآنية نحو قوله: "وما قلى – فأغنى"، كما ذكرنا وقد جاء الحذف مراعاة لفواصل القرآنية، وما تطلبه هذه الفواصل من موسيقى تنتظم هذه الآيات كما انتظمت الآيات السابقة واللاحقة لها(الجرجاني:1992ص:153).

ب- الزيادة التي تلحق الفاصلة وقفاً

إذ تتميز بعض الفواصل القرآنية بما يلحقها من أصوات عند الوقف عليها، ومما ورد منها في فواصل جزء "عم" إلحاق هاء السكت بضمير المؤنث "هي" عند الوقف في قوله تعالى: "وما أدراك ما هيه"، (القارعة : 8)، وهاء السكت عند سيبويه (سيبويه، 1975، 4\185)، ومن تبعه من أهل اللغة مخرجها أقصى الحلق، ووصفه للهاء في مخرجها يتفق اتفاقاً كبيراً مع وصف

القراء والمحدثين لهذا الصوت بأنه صوت حنجري مهموس.(السعران، 1962م : 195). ولعل السبب في تسميتها بهاء السكت يرجع لأن المتكلم يسكت، أي: يقف عليها دون آخر الكلمة، كما نجد أنه يؤتى بها أيضاً لتعويض بعض الكلمات عن الحروف التي حذفت منها صرفية أو نحوية أو صوتية، ويمكننا القول: إن التجارب العربية لإثبات هاء السكت في بعض الكلمات إنما هو نتيجة من نتائج الحرص على بيان الحركة في الحرف الموقوف عليها، إضافة إلى التوافق الصوتي مع موسيقى الفواصل القرآنية قبلها وبعدها.

المصادر والمراجع

1. أنيس، إبراهيم، 1979م، الأصوات اللغوية، الطبعة الخامسة، دار الطباعة الحديثة.
2. بشر، كمال، 1975م، علم اللغة العام (الأصوات)، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
3. ابن سنان، أبي محمد عبد ا بن محمد بن سعيد ابن سنان، سر الفصاحة، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، 1982- الطبعة الأولي.
4. ابن المعتز، البديع، تحقيق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دمشق-سوريا، دار الحكمة(1900) الطبعة الأولي.
5. الجرجاني، عبد القادر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد شاكر، الطبعة الثالثة، 1992م السعودية.
6. الجندي، علي، صور البديع، دار المعرفة والنشر- القاهرة.
7. حنفي، محمد رجاء، مكانة الفواصل في الإعجاز في القرآن الكريم.
8. الحافظ عماد أبو الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار التراث 1400هـ -1980م).
9. الداني، أبو عمرو، 1930م، التيسير في القراءات السبع، الطبعة الأولى، تصحيح: أرتوبرتزل أسطانبول، مطبعة الدولة.
10. الزجاج، 1963م، إعراب القرآن، القسم الثاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة.
11. الزركشي، 1957م، البرهان في علوم القرآن، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
12. السعران، محمود، 1962م، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف، مصر.

13. سيبويه، أبو بشر عثمان بن قنبر، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب- 1975.
14. السهيلي، 1114هـ، الروض الأنف، طبعة الجمالية، مصر.
15. السيوطي، جلال الدين، 1974م، الإتقان في علوم القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
16. العسكري، أبو هلال، 1952، الصناعتين، طبعة القاهرة.
17. الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران.
18. قطب، سيد، 1973م، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت.
19. القطان، مناع، 1421هـ، مباحث في علوم القرآن، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف للنـشر والتوزيع.
20. محمد بن محمد الدمشقي بن الجزري، النشر في القراءات العشر، ط1، المكتبة التجاريـة الأولي- القاهرة.
21. أبو محمد عبد ا جمال الدين(ت761هـ) ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيـق محمد محي الدين، ط2(1394هـ -1973م) عبد الحميد، دار الفكر- بيروت.